النشـــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٩ / ٢٠٠٠
الأحد ٢٧ شباط
أحد الإبن الشاطر
تذكار أبينا البار بروكوبيوس
البانياسي المعترف

اللحن السادس
إنجيل السَحَر السادس

الـــرســـالـــة (١ كورنثوس ٦: ١٢-٢٠)
الإنـــجـــيـــل (لوقا ١٥ : ١١- ٣٢)

+ الابن الضال

لقد رتّب آباء الكنيسة أن يُقرأ المقطع الإنجيلي المتعلّق بتوبة الابن الضال (لوقــا ١٥: ١١-٣٢)، في الأحد الثالث قبل بدء الصوم الكبير، زمن التوبة، تهيئة للمؤمنين لاستقبال هــذا الموسم باجتهاد ووعي تام لهدف الصوم: التوبة.

قد يكون هذا المقطع الإنجيلي أفضل مُعبّر عن جوهر التوبة، إذ أن الإنجيلـــي لوقــا وضعه مباشرة بعد انتقاد الفريسيين والكتبة ليسوع بأنه "يقبل خطأة ويأكل معهم" (لــو ١٥:٢). فيجيبهم يسوع بمَثَل الراعي الذي أضاع خروفاً، فترك التسعة والتسعين وذهب ليبحــث عنــه (لو ١٥:٤-٧)، ومَثَل المرأة التي أضاعت درهماً ولما وجدته دعت الصديقــات والجــارات

ليفرحن معها بوجود الدرهم (لو ١٥: ٨-٩). وينهي يسوع المَثَلين بالقول "هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب" (لو ١٥: ١٠). ولكي يوضح الرب يسوع لسامعيه معنى "أن يتوب الإنسان" أعطاهم مَثَلاً عملياً عن التوبة وهو مَثَل الابن الضال أو الابن الشاطر.

لقد شطر الابن الأصغر ثروة أبيه وأخذها وترك بيته وذهب الى "بلد بعيد". في هذا "البلد البعيد" بدّد أموال أبيه، وهي ليست أمواله هو، في العيش المسرف "ومع الزواني" (لو ١٥:٣٠). وحده هذا "البلد البعيد"، هذه الأرض الغريبة، تُظهر لنا عمق جوهر حياتنا وحالتنا المزرية. عندما يكون الإنسان بعيداً عن أهله وبيته ووطنه يدرك قيمة الأهل والبيت والوطن. عندما يفقد الإنسان حبيبه يشعر أكثر بحبه الكامن في قلبه ويعبّر بالبكاء والحزن. أهمية "البلد البعيد" بالنسبة للابن الضال ولنا، انه قد يكون دافعاً لنا لكي نعي النعمة التي أهملناها، ولكي نعي المسافة التي تفصلنا عن هذه النعمة. وحده الإنسان الذي يعي هذه المسافة، هذه الهوة، هذا البلد البعيد، يستطيع العودة إلى الحياة الأصيلة. مَن لم يشعر بهذه المسافة ولو مرة واحدة في حياته، ولم يشعر أنه في أرض روحية قاحلة، منفياً ومنبوذاً، لن يستطيع فهم معنى المسيحية ولا العودة إلى النعمة.

عندما نقع في الخطيئة نكون مثل الابن الضال نبدد أموال أبينا وليس أموالنا، أي نبدد النعمة المجانية التي منحنا إياها الله. نذهب إلى بلد غريب، إلى "نعمة" غريبة، إلى شر غريب. أنت مسؤول عن النعمة أو الوزنة التي أُعطيت لك من الله ولا يحق لك تبديدها أو حتى طمرها كما تعلّمنا سابقاً. المهم أن تعي في وقت ما أنك في "بلد بعيد"، في "أرض غريبة" قاحلة روحياً، لكي تعود إلى الله، إلى "الحياة المسيحية" الحقيقية.

إذا كان الشعور بالغربة شعوراً حسناً ودافعاً للعودة إلى أحضان الله، فإن الشعور الخطر هو الشعور بالارتياح أي شعور الإنسان أنه في بيته وكل شيء مرتّب وجيّد ويسير بانتظام. عندما يظن أنه في وضع جيّد وبالتالي ليس بحاجة إلى التغيير والسعي نحو "الحقيقة"، يكتفي بحقيقته ولا يشعر بضرورة التوبة والعودة عن الخطيئة، فلا يختبر ماهية التوبة والندامة.

التوبة والندامة ليستا تعداداً شكلياً لأخطاء الإنسان وتجاوزاته وجرائمه. ولا توبة أو ندامة قبل اختبار الغربة عن الله وفرح الشركة معه. قد يكون سهلاً على الإنسان الاعتراف بتجاوزاته وأخطائه، لكن الأصعب أن يدرك فجأة أنه حطّم جماله الروحي وفقده وخانه وأنه بعيد عن منزله الحقيقي وحياته الحقيقية، وأن شيئاً جميلاً لا يُثمَّن قد تحطم وتمزّق. هذا الإدراك أو الوعي هو التوبة بالتحديد، وهذا يفترض الرغبة العميقة بالعودة مجدداً إلى المنزل

المفقود. هذا ما حصل مع الابن الضال. أدرك حالته المزرية عندما تذكر منزل أبيه والفرح المفقود والسلام الداخلي الضائع فقرّر العودة إلى أبيه.

المهم أن أعي أن الآب السماوي قد أعطاني كنزاً ثميناً، نِعَماً كثيرة لا تُثمَّن. لقد أعطاني الحياة وإمكانية التنعّم بها أي تحويلها إلى محبة دائمة. أعطاني أيضاً نعمة الحياة الجديدة بابنه يسوع المسيح، وأراني مملكته الأزلية وفرحه وسلامه بالروح القدس. ومهم أيضاً أن أدرك أنني فقدت كل هذه النِعَم عبر ذهابي بعيداً إلى بلد بعيد واختياري العيش في أرض غريبة.

في فترة التهيئة التي تسبق الصوم نرتل المزمور ١٣٧: "على أنهار بابل هناك جلسنا وبكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون... كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة...". في هذا المزمور يعبّر الكاتب عن الشعور بالأسى والحزن والغربة الذي انتاب الشعب العبراني عندما كان مسبياً في أرض غريبة، في أرض بابل. نرتل هذا المزمور قبل الصوم لنعبّر عن غربتنا وحزننا ولنعلن توبتنا وإرادتنا للعودة.

بعد أن يعي الإنسان أنه في أرض غربة يبقى عليه القيام بخطوة واحدة بسيطة وصعبة في آن: "أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدّامك" (لو ١٨:١٥). بعد أن تعي الظلمة والمرارة والأسى التي أنت فيها، والنور الإلهي والفرح السماوي المُنتظر، عليك أن تترجم فكرك أفعالاً: تقوم وتعود إلى أبيك مصمماً على البدء من جديد، بتواضع وصبر ومحبة. لا تتردد في العودة ولا تصغ إلى الشرير الذي يوهمك بأن الآب لن يقبلك. فالآب في مَثَل الابن الضال، الذي هو صورة للآب السماوي، كان ينتظر عودة ابنه بفارغ الصبر، وهو الذي ركض نحو ابنه "ووقع على عنقه وقبّله" (لو ٢٠:١٥). وقد ذبح للإبن العائد العجل المسمن الذي كان يربيه بانتظار هذه اللحظة، وألبسه حلة جديدة ووضع في يده خاتما علامة للعهد الجديد. كل هذا لأنه "كان ميتا (في أرض غريبة) فعاش (في أرض الله) وكان ضالا فوجد" (لو ٣٢:١٥)، لأنه "هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب" (لو ٧:١٥).

الآب السماوي ليس كسكان هذا العالم. قد يرفضك أناس هذا العالم إذا تبت، لأنهم لا يرون إلا خطيئتك ولا يعون خطاياهم. الآب السماوي بانتظارك يقرع دائما على باب قلبك، فهل تستجيب؟

+ القديس يوحنا كاسيانوس

تُعيِّد الكنيسة الجامعة في التاسع والعشرين من شباط لتذكار القديس البار يوحنا كاسيانوس الذي اختبر حياة النسك في الشرق، ونقل هذه الخبرة الشرقية إلى الغرب حيث أسّس الأديار، حتى اعتبره الغرب من كبار المعلّمين.

ولد القديس كاسيانوس في أواسط القرن الرابع في مدينة سكيثيا الواقعة على مصب الدانوب والتي تُعرف حالياً بـ"دوبرودغيا" الرومانية. زرع والداه محبة الله في قلبه منذ نعومة أظفاره، إضافة إلى تحصيله علوم الدنيا. لم تغره أمجاد هذا العالم بل كان دائم السعي إلى الكمال بالرب يسوع.

انتقل مع صديق له يدعى جرمانوس إلى أحد أديار بيت لحم حيث تدرّب على حياة الشركة والفضائل، وكان يذرف الدموع باستمرار على خطاياه.

عندما سمع بأخبار نسَّاك برية مصر طلب البركة، مع رفيقه جرمانوس، من رئيس الدير، لكي يذهبا إلى هناك، فأعطاهما الإذن شرط العودة إلى الدير لاحقاً.

ذهب كاسيانوس ورفيقه إلى أديار دلتا النيل، ثم قررا الدخول إلى عمق الصحراء رغبة في مجالسة النسّاك القديسين اللامعين وطلباً للمنفعة والبَرَكة وتعلّم أصول الحياة الروحية. هناك التقيا الأنبا يوسف الذي نصحهما بالبقاء فترة أطول في صحراء مصر للاستفادة الأكبر. بقيا هناك مدة سبع سنوات التقيا خلالها عدداً من كبار القديسين الرهبان كالأنبا موسى وسيرابيون وبفنوتيوس. إضافة إلى حياة الصلاة والصوم والعمل اليدوي الشاق، اختبرا هناك الفقر الكلّي والعري. كما أنهما كانا يتعرّضان دائماً لهجمات الشرير الذي كان يحاول إقناعهما بالعودة إلى بيت لحم والتخلّي عن عذاب الصحراء. إلا أنهما وعيا "أنه لا يكفي الراهب أن يزهد في العالم مادياً ويتخلّى عن مقتنياته ليُقبل على النسك والصمت، بل عليه أيضاً أن يتخلّى عن عاداته السالفة وأهوائه. وهذا يحتاج إلى جهاد طويل يعرّضه لفخاخ كثيرة إذا نجا منها أوصله جهاده إلى نقاوة القلب. هذا هو هدف الراهب: أن يدخل، بلا انقطاع، في عشرة الله، بالصلاة المستمرة التي يرفعها الذهن المُعتَق من هموم العالم بسكينة وسلام في الهيكل المنقى للقلب".

بقي الصديقان في البرية سبع سنوات يختبران الجهاد ضد الأهواء ويعاينان أمثلة القداسة الحيَّة بين النسّاك، عادا بعدها إلى دير بيت لحم عام ٣٩٧، ليستحصلا من رئيس الدير على بركته من أجل العودة والإقامة الدائمة في الصحراء، وقصدا مصر عام ٤٠٠.

لم يمضِ زمن طويل حتى بدأ جهاد من نوع آخر. فقد اتهم البطريرك ثيوفيلوس الإسكندري الرهبان باتباع أوريجنس ونظَّم حملة ضدّهم ممّا دفع البعض إلى الهرب. التجأ

كاسيانوس مع رفيقه جرمانوس وعدد من الرهبان إلى القسطنطينية حيث استقبلهم القديس يوحنا الذهبي الفم، بطريرك المدينة. عرف الذهبي الفم معدن كاسيانوس ورفيقه، فشرطن جرمانوس كاهناً وكاسيانوس شماساً وحارساً لخزنة الكنيسة العظمى وأوانيها المقدّسة. وعندما حصل الاضطهاد على الذهبي الفم ونفي بسبب ثيوفيلوس الإسكندري، أرسل أهل القسطنطينية كاسيانوس وجرمانوس إلى روما لشرح القضية الظالمة أمام البابا اينوكنديوس الأول.

بقي كاسيانوس في روما عشر سنوات قَبِل خلالها الدرجة الكهنوتية، ثم انتقل إلى مرسيليا (فرنسا) حيث عمل على تأسيس الأديار، فأسّس دير القديس فيكتور للذكور، عند ضريح شهيد من القرن الثالث، ودير المخلّص للنساء، وبثّ فيهما الروح الرهبانية الشرقية محاولاً أن تتوافق هذه التعاليم مع شروط الحياة هناك وطبيعة المناخ. كذلك وضع عدداً من المؤلفات النسكية والرهبانية والروحية لمنفعة الاخوة هناك.

لم يتخلَّ كاسيانوس عن تعاليم آباء الشرق العقائدية فوقف في وجه أوغسطينوس المغبوط (من آباء الغرب) الذي بالغ في الفصل بين الطبيعة البشرية والنعمة الإلهية مشدّداً على كون الإنسان يتألّه بالنعمة الإلهية دون التشديد على مجهود الإنسان الشخصي. أما كاسيانوس فعلّم أن الحرية البشرية المخلوقة على صورة حرية الله المطلقة، والمتجددة بالمعمودية، مدعوة لأن تستجيب للنعمة الإلهية وتتعاون معها لكي تنشئ في النفس الثمار الخلاصية. اتّهمه أتباع أوغسطينوس بالانحراف فكان ردّه الصمت ولم يسعَ لتبرير نفسه. وأخيراً رقد بسلام عام ٤٣٥.

يُكرّم هذا القديس في الشرق والغرب على السواء، وما زالت رفاته المقدسة الموجودة في دير القديس فيكتور في مرسيليا مصدر بركة لكثيرين. فبشفاعته اللّهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ أحد مرفع اللحم

الأحد القادم في الخامس من شهر آذار ٢٠٠٠ هو أحد مرفع اللحم واليوم الأخير الذي تسمح فيه الكنيسة المقدّسة بأكل اللحوم على أن تُرفع عن الموائد في اليوم التالي أي الاثنين في ٦ آذار وذلك تهيئة للصوم الأربعيني المقدس. أما يوم السبت الذي يسبق أحد مرفع اللحم فهو مخصّص للصلاة من أجل الذين رقدوا على رجاء الحياة الأبدية، وفيه تقام الصلوات في كافة كنائس الأبرشية.

+ الحنين إلى الله

إن روحي تمتدّ في أثر الرب وألتمسه بدموع.

كيف لا أرومك؟ وأنت الذي وجدتني أولاً. أعطيتني أن أحيا عذوبة روحك القدّوس، ونفسي أحبّتك. أنت عارف يا سيّدي بشقائي، وترى دموعي... ولو لم تجتذبني بحبّك لما بحثت أنا عنك، كما الآن. لكن روحَك القدّوس منحني أن أميّزك، ونفسي سُرّت بأنك أنت، أنت هو إلهي وسيّدي وحتى الدمع امتدّ في أثرك. إن روحي تطلب الإله وهي تتوق إليه باحثة عنه بعبرات.

أيها السيّد الرحوم، أنت ترى سقطتي وتعرف ألمي، لكني، وباتضاع، أتوسّل رأفاتك فأسبغ عليّ أنا الخاطئ نعمة روحك القدّوس، وذكراه يشدّد روحي كي أجد رحمتك في كل حين.

أيها السيّد الرب، امنحني روحك المتواضع حتى لا أفقد نعمتك مجدداً، وحتى لا أنوح مثل آدم الذي بكى الله والفردوس الضائع.

في السنة الأولى من حياتي في الدير خبرتْ نفسي الرب بالروح القدس. عظيم هو الحب الذي يحبّنا به السيّد. ولقد لقّنني الروح القدس بأن الرب منحني حبّه ليس لاستحقاقي ولكن لعظيم رحمته.

إني أكتب الحقيقة حباً بالبشر وأنا شيخ أتهيّأ للموت.

إن روح المسيح التي أعطانيها الرب تبغي خلاص الجميع، وتشتهي لهم كلّهم أن يعرفوا الله. إن السيّد الرب أعطى الفردوس للّص، كذلك سيعطيها لكل خاطئ. أما أنا فصرت لكثرة خطاياي أسوأ من كلب جرب، لكني شرعت بالصلاة لله كي يغفر لي، وهو قد منحني، ليس فقط غفرانه، لكن أيضاً روحه القدّوس. ولقد عرفت الإله بالروح القدس. أترون كيف يحبّنا الله؟ فمن يقدر أن يصف رحمته؟ آه يا اخوتي، أخرّ على ركبتيّ طالباً إليكم: آمنوا بالله... آمنوا أن الروح القدس هو الذي يشهد "له" في كل الكنائس وفي روحي أنا أيضاً.

حب هو الروح القدس، وهذا الحب انسكب في نفوس كل القدّيسين الساكنين في السّماء، وذاك الروح القدس عينه هو الساكن في الأرض، وفي نفوس الذين يحبّون الله.

كل السموات تعاين الأرض بالروح القدس، تسمع صلواتنا، وتحملها إلى الله.

إن الرب رحوم، هذا ما تعرفه روحي، لكن وصفه مستحيل. "هو" رقيق عذب ووديع إلى ما لا نهاية، وإذ تعاينه الروح تتحوّل بكليّتها إلى حب لله وللقريب، فتصير هي ذاتها رقيقة ومتّضعة. لكن إذا فقد الإنسان النّعمة، فإنه يبكي مثل آدم عندما طرد من الفردوس. إذ ذاك

أجهش وصرخ نائحاً، فسمعت كل الصحاري تنهّداته، وكانت دموعه مرّة من الحزن؛ وبكـــى آدم، بكى سنين طوالاً.

كذلك، فالروح التي عرفت النعمة الإلهية ثم خسرتها، تتعطّـــش للإلـــه وتقـــول: "إن روحي تمتد في أثر السيّد، وأبحث عنه بعبرات".

القديس سلوان الآثوسي